وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

Joining what God has ordered to be joined to "Family relationships and Morals "

د. أحمد حامد الشرقاوي*

جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية، ahmed.hamed.sh111@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/02/26 تاريخ القبول: 2019/10/13 تاريخ النشر: 2019/12/30

ملخص:

يتطلع هذا البحث إلى بيان موضوع: "صلة ما أمر الله به أن يوصل" من خلال سورة الرعد، وذلك بتعريف الصلة، وربطها بموضوع السورة، والآيات، والفائدة من ذلك، ثم تقسيم الصلة إلى آصرة الدين، وآصرة الأخلاق.

فأمّا آصرة الدين: (وفيها وصل النبي ﷺ في أصحابه وآل بيته، ووصل القول بالعمل).

آصرة الأخلاق: (وفيها وصل الوالدين بالبرِّ، ووصلة الأرحام). ويكون البيان لكل تلك المسائل وفق المنهج العلمي على ما أتاحت به النصوص الشرعية من القرآن، والسنة، والآثار، وأقوال العلماء، في بيان تلكم الحقائق .

الكلمات المفتاحية: الصلة؛ القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية؛ آصرة الدين؛ آصرة الخلق.

Abstract:

The research seeks to clarify joining what God has ordered to be joined to through Surah Ar-Ra'd as defines the word Relationship and joining it to the objects of the surah . The concept of Relationship is devided into: 1- RELIGION 2- MORALS.

The research tackles RELIGION, only, which is divided into :Faith and Worship.

A) FAITH includes joining believe in Allah to belive in prophet Mohammed, believe in Qur'an ,obedience of the guardian and loyalty to Muslims

* المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات

B) WORSHIP includes joining believe in Allah to good deeds, administration of Sharia and sincerity in say and deed.

The clarification to all these details should be according to the scientific methodolgy available in quaran and purified sunnah and what is narrated by Imams.

Keywords: Faith; Holy Qur'an; Gurdian; Loyalty and God's decree.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً قيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

إنّ تمام الحياة وقيامها لا يكون إلا بالصلة: صلة العبد بخالق، وصلة العبد بمن حوله، وصلة الأرض بالسماء، فالقطيعة وحدة وعذاب، ولذا أمر ربنا في كتابه بالصلة وحذر من الوحدة في أكثر من موضع في كتابه، فقال سبحانه: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ" (الرعد:25)، ولعظمة موضوع الصلة، وأهميته، وسعة معناه عما هو معلوم لكثير من المسلمين، واتصال ذلك بواقع المسلمين اليوم: من القطيعة الواضحة عند كثير من المسلمين، بسبب جهلهم بحقيقة دينهم، ووقوع كثيرا من المشاكل في الأمة. ومن أجل إصلاح العلاقة بين العبد وربه، وتحسين الأخلاق في المجتمع المسلم، توكلت على الله بالبحث في هذا الموضوع والوقوف على بعض النتائج فيه علّ الله أن ينفعنا به، وينفع بها الخلق فيهتدوا إلى الحق المبين، نسأل الله التوفيق والسداد والقبول.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة في هذا الموضوع إلى:

1- تحديد معنى -ما أمر الله به أن يوصل- وجمع الأقوال فيها والوقوف عليها بشيءٍ من التفصيل .

2- الأمر بالتواصل المجتمعي، وبيان فضائل صلة الرحم وتحريم القطيعة، بل هي من الكبائر .

3- بيان خطورة مخالفة القول العمل، والتحذير من ذلك.

المنارة للاستشارات

أسباب الدراسة: نبعت فكرة هذه الدراسة، لعدة أسباب، منها:

1- غفلة كثير من المسلمين بمعنى قول ربنا "ويصلون ما أمر الله به أن يوصل"، وبما تقتضيه هذه الآية .

2- القطيعة الواضحة- عند كثير من المسلمين- في العلاقة بينهم وبين بعضهم البعض، بسبب جهلهم بحقيقة دينهم .

3- غياب القدوة- الذي يوافق قوله فعله- في المجتمع المسلم.

هذا وغيره مما دعاني إلى البحث في هذا الموضوع والوقوف على بعض النتائج فيه علّ الله أن ينفع بها الخلق فيهتدوا إلى الحق المبين .

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، حيث تتبعت ما ورد في هذه الآية عند المفسرين، وكذلك الآيات المجاورة لها سابقة أو لاحقة، والبحث عن موضوع الصلة في القرآن الكريم كله، قدر استطاعته . وقد راعيت ما يأتي:

1- التأصيل النظري لمصلحات الدراسة عن طريق جمعها من كتب التراث.

2- جمع الأقوال والآراء حول هذا الموضوع والعمل على حسن تنسيقها، واتمام ما نقص منها، وايضاح ما غمض منها.

3- عزو الأقوال إلى قائليها والرجوع إلى مصادرها من أجل الاستفادة منها.

4- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع ذكر الحكم عليها – إن أمكن – إن كانت في غير الصحيحين.

5- التعقيب على موضوعات الدراسة وتحليلها بما يتناسب مع الواقع الذي نعيش فيه، ومن ثمّ الوصول على النتائج المرجوة من البحث.

المنارة للاستشارات

الدراسات السابقة:

كل ما كُتب في هذه الآية إما من قبيل التفسير التحليلي، باعتبارها آية من آيات سورة الرعد، وإما من قبيل التفسير الموضوعي للسورة بأكملها، أو الوقوف على موضوع صلة الرحم فقط. أما الوقوف مع موضوع الصلة، وربطها الآية بالسورة وموضوعها، وإظهار ما يجب وصله في كتاب الله، لم أقف على أحد سبقني إلى الكتابة فيه دراسة مفصلة- حسب اطلاعي-.

أهداف البحث: الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما المقصود بوصل ما أمر الله به أن يوصل ؟
- كيف أتعرف على هذه الآية وما تحمله من أسرار ؟
- ما أمر الله به أن يوصل ؟ وما أهمية معرفة ذلك؟
- ما واجب الفرد المسلم بعد دراسته لتلك المواطن ؟

وقد تكونت هذه الدراسة –في رأي– من: مقدمة، تمهيد، ثلاثة مباحث، وخاتمة .

المقدمة: وهي التي نحن بصددها.

التمهيد: التأصيل لمفهوم الوصل .

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ".

المبحث الثاني: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فِي آصرة الدين.

المبحث الثالث: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فِي آصرة الخلق .

وأخيراً الخاتمة: وشملت أهم نتائجه، ثم فهرس المصادر.

وأسأل الله الكريم عموم النفع بها في الدنيا والآخرة .

المنارة للاستشارات

التمهيد: مفهوم مصطلح: "الوصل":

وفي هذا التمهيد أقوم بتعريف الوصل.

الوصل لغة: (و ص ل):

أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه[1]. وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران. الوَصْل خلاف الفَصْل، وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وَصِلةً وصُلَةً ووَصَّلَهُ: كلاهما لأَمَهُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾[القصص:51]، أَي وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبياء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض لعلهم يَعْتَبرون. واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع[2]. ووصِلَكَ اللّهُ والشيءَ وإليه وُصولاً ووُصْلَةً وصِلَةً: بَلَغَهُ وانتهى إليه . وَوصَلَهُ وَصْلاً وصِلَةً وواصَلَهُ مُواصَلَةً ووِصالاً: كِلاهُما يكونُ في عَفافِ الحُبِّ ودَعارَتِه . والوُصْلَةُ بالضم: الاتِّصالُ وكُلُّ ما اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينهما: وُصْلَةٌ. والمِوْصِلُ: مَعْقَدُ الحَبْلِ في الحَبْلِ . والأَوْصالُ: المَفاصِلُ أو مُجْتَمَعُ العِظامِ وَجَمْعُ وُصْلٍ بالكسرِ والضمِّ لكلِّ عَظْمٍ لا يُكسَرُ ولا يَخْتَلِطُ بغيرِهِ[3]. والوصل: وصل الثوب والخف. ويقال: هذا وصل هذا، أي مثله. وبينهما وصلة، أي اتصال وذريعة. وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة، والجمع وصل. والاوصال: المفاصل[4]. والِاتِّصَالُ: اتّحادُ الأشياء بعضها ببعض كاتّحاد طرفي الدائرة، ويضادّ الانفصال، ويستعمل الوَصْلُ في الأعيان، وفي المعاني. يقال: وَصَلْتُ فلاناً. قال الله تعالى: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[البقرة:27]، يقال: فلان مُتَّصِلٌ بفلان: إذا كان بينهما نسبة، أو مصاهرة، وقوله عزّ وجلّ: "وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ" [القصص:51] أي: أكثرنا لهم القول مَوْصُولًا بعضُهُ ببعض[5] .

---

(1) معجم مقاييس اللغة/أبو الحسين أحمد بن فارس (115/6)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1399هـ.

(2) لسان العرب/محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(726/11) مادة – وصل، دار صادر – بيروت، ط.1.

(3) القاموس المحيط/محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (1380/1)، فصل الواو – مادة (وصل).

(4) الصحاح في اللغة – الجوهري– موافق (120/5).

(5) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت. 502هـ)، (872/2)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط.1، 1412 هـ.

المنارة للاستشارات

ويقال وصل حبله بفلان أيّ: بره وأعطاه مالا ورحمه: أحسن إلى الأقربين إليه من ذوي النسب والأصهار وعطف عليهم ورفق بهم وراعى أحوالهم. وصل المكان وإليه وصولا ووصلة وصلة: بلغه وانتهى إليه. (الموصل) مكان الوصول . ويقال وصل إلى بني فلان: إذا انتمى إليهم وانتسب، قال تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾[النساء:90]. (أوصله) الشيء وإليه الشيء: أنهاه وأبلغه إياه[1].

وخلاصة المعنى اللغوي: من الوصل، والبلوغ، والقرابة، والإحسان، والإتحاد. بمعنى وصل إلى الشيء، وبلغ الهدف، وصلة القريب، والإحسان إليه، ووصل الشيء بالشيء اتحد معه.

الوصل اصطلاحاً:

ضَمُّ شَيْءٍ لِشَيْءٍ. وَضِدُّهُ الْقَطْعُ. وَيُطْلَقُ مَجَازًا عَلَى الْقُرْبِ وَضِدُّهُ الْهَجْرُ. – ويلاحظ أن المعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي كثيراً–، وهذا يؤكد أنّ معنى الوصل أو سع من صلة الرحم، بل يشمل صلة العبد بربه، وبنبيه ﷺ، وبدينه، وبأمته, ثم جميع الخلق، حتى الحيوان– وَاشْتُهِرَ مَجَازًا أَيْضًا فِي الْإِحْسَانِ وَالْإِكْرَامِ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ، صِلَةُ الرَّحِمِ، أَيِ الْإِحْسَانُ لِأَجْلِ الرَّحِمِ، أَيْ لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ الْآتِيَةِ مِنَ الْأَرْحَامِ مُبَاشَرَةً أَو بواسطة النَّسَبُ الْجَائِي مِنَ الْأُمَّهَاتِ. وَأُطْلِقَتْ عَلَى قَرَابَةِ النَّسَبِ مِنْ جَانِبِ الْآبَاءِ أَيْضًا لِأَنَّهَا لَا تَخْلُو غَالِبًا مِنِ اشْتَرَاكٍ فِي الْأُمَّهَاتِ وَلَوْ بَعُدْنَ[2].

---

[1] المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار(1037/2)، دار الدعوة، تح.: مجمع اللغة العربية.

[2] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت.1393هـ)، (127/13)، الدار التونسية للنشر، 1984هـ.

أنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت. 885هـ)، (329/10)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

المنارة للاستشارات

والخلاصة: أن الوصل فيه أصل إيمانيٌّ يتمثل في صلة النبي ﷺ في آل بيته وصحابته الكرام، ووصل القول بالعمل، وأصل أخلاقيٌّ يتمثل في صلة الوالدين والأرحام، وذلك: "بالتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا. فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر والأخوة"[1]. وربما اتسع معنى الصلة إلى رِعَايَةُ جَمِيعِ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لِلْعِبَادِ الثَّابِتَةِ بِسَبَبِ أُخُوَّةِ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الْحُجُرَاتِ:10]، "وَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ الصِّلَةِ إمْدَادُهُمْ بِإِيصَالِ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعُ الْآفَاتِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَشُهُودُ الْجَنَائِزِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّبَسُّمُ فِي وُجُوهِهِمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ[2].

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى:"وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ":

المطلب الأول: السورة التي ذكرت فيها الآية:

سورة الرعد: وقع الخلاف هل هي مكية أم مَدَنِيَّةٌ: فقيل مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَرِوَايَتِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْهُ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ. وَعَنْ أَبِي بِشْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ": أَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ فَقَالَ: كَيْفَ وَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ. وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ وَقَتَادَةَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، وَهُوَ عَنْ عِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

---

[1] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي (ت. بعد1158هـ)، (1786/2)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح. د.علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (5م425)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، تح.: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

[2] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، (34/19)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.3، 1420هـ.

المنارة للاستشارات

وَجَمَعَ السُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرَّعْد: 43]. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَدَنِيَّ فِيهَا كَثِيرٌ، وَكُلُّ مَا نَزَلَ فِي شَأْنِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ بْنِ رَبِيعَةَ فَهُوَ مَدَنِيٌّ[1]. وقول ثابت: أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ إِلَّا آيَتَيْنِ مِنْهَا فَإِنَّهُمَا نَزَلَتَا بِمَكَّةَ، وَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِۦ ... فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[الرعد:31-32][2]. ورجح صاحب– التحرير والتنوير– أنها مدنية، فقال: وَالَّذِينَ جَعَلُوهَا مَدَنِيَّةً عَدُّوهَا فِي النُّزُولِ بَعْدَ سُورَةِ الْقِتَالِ وَقبل سُورَة الرحمن وَعَدُّوهَا سَابِعَةً وَتِسْعِينَ فِي عِدَادِ النُّزُولِ. وَإِذْ قَدْ كَانَتْ سُورَةُ الْقِتَالِ نَزَلَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ أَوْ عَامَ الْفَتْحِ تَكُونُ سُورَةُ الرَّعْدِ بَعْدَهَا. وَعُدَّتْ آيَاتُهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَأَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ فِي عَدَدِ الْمَدَنِيِّينَ وَخَمْسًا وَأَرْبَعِينَ عِنْد الشَّام[3]. وقال السيوطي: وَالَّذِي يَجْمَعُ بِهِ بَيْنَ الِاخْتِلَافِ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَاتٌ مِنْهَا[4]. ونختم بقول الألوسي: مما يجعلني أقول: لولا أنّ الأدلة على مدنية السورة أقوى لقلت بأنها مكية –كما رجح ذلك بعض المفسرين[5]– ولكني أقول إنّ السورة من المدني الذي يشبه المكي في أسلوبه وموضوعاته.

والله تعالى أعلم.

---

(1) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، (13/75-76).

(2) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت. 1250هـ)، (3/76)،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط.1، 1414هـ.

(3) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، (13/76).

(4) الإتقان في علوم القرآن/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)، ص.80، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974 م.

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (ت. 1270هـ)، (7/80)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط.1، 1415 هـ .

المنارة للاستشارات

مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه قال فيما تقدم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[يوسف:105]، فأجمل سبحانه الآيات السماوية والأرضية ثم فصل جل شأنه ذلك هنا أتم تفصيل، وأيضا أنه تعالى قد أتى هنا مما يدل على توحيده عز وجل ما يصلح شرحا لما حكاه عن يوسف عليه السلام من قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[يوسف:39]، وأيضا في كل من السورتين ما فيه تسلية له ﷺ هذا مع اشتراك آخر تلك السورة وأول هذه فيما فيه وصف القرآن كما لا يخفى[1].

مناسبتها لما بعدها: ختم ربنا تبارك وتعالى سورة الرعد بالحديث عن القرآن وافتتح سورة إبراهيم بالحديث عن القرآن، في الأولى أَمرٌ للنبي ﷺ بالتوكل على الله، وفي الثانية أَمرٌ لإخوانه من الأنبياء بالتوكل على الله، في الأولى بالحديث عن رفع السماء بغير عمد وسخر الشمس والقمر، وفي الأخرى عن نفس الأمر كذلك...[2]. فالحديث في السور الثلاث (يوسف الرعد إبراهيم) يدور عن موضوعات السور المكية. مما يجعلني أقول: لولا أنّ الأدلة على مدنية السورة أقوى لقلت بأنها مكية –كما رجح ذلك بعض المفسرين[3]– ولكني أقول إنّ السورة من المدني الذي يشبه المكي في أسلوبه وموضوعاته.

والله تعالى أعلم.

---

[1] تفسير الألوسي، (80/7) .

[2] يرجع إلى تفسير روح المعاني، (169/7)، وكذلك تفسير المراغي، (122/13) .

[3] تفسير الألوسي، (80/7) .

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: موضوع سورة الرعد، مناسبة الاية لموضوع السورة، مناسبة البحث لموضوع الآية والسورة:

سورة الرعد رغم اختلاف العلماء في مكيتها ومدنيتها إلا أنّ سمات القرآن المكي واضحة عليها وعلى ألفاظها:

1- هي سورة عنيت بأصول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله والبعث والجزاء، وبينت معنى الألوهية والعبودية، وأن الله تعالى وحده هو الرزاق والمحي والمميت، وهو الوحيد المستحق للعبادة.

2- أنّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، الدالة على صدق محمد ﷺ ورسالته، فقد تحدى الله تعالى الكفار والمشركين، لما ادعوا أن هذا القرآن من عند محمد ﷺ وليس من عند الله تعالى أن يأتوا بمثله، أو عشر سور مثله، ثمّ بسورة من مثله فعجزوا، وفي هذا دليل على بيان منزلة القرآن الكريم، وسمُّوه من أيّ عيب أو نقص، لأنه تنزيل من ربِّ العالمين.

3- وذكرت السورة بعض صفات الله تعالى وآثار قدرته ورحمته، مع عرض الأدلة العقلية على وجود الله ووحدانيته[1]. من مظاهر الحق في الكون لتقرر كمال قدرة الله وعجيب خلقه في الكون كله وكيف يدبر الأمر ويفصل الآيات ويمد الأرض ويغشي الليل النهار فالله هو الحق وقرآنه حق وإتباعه حق.

4- ختام السورة تشهد للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة وأنه مرسل من عند الله، وأكد الحق سبحانه وتعالى كل هذا بالأدلة، وختمه بالتحدي الظاهر للمشركين.

وفي موضوع آيات البحث في السورة الكريمة: ذكر ربنا تبارك وتعالى نموذجين لا يستويان أبداً، نموذج استجاب لآيات الله ونداءه سبحانه، ونموذج آخر أعرض واستكبر، ومن سمات النموذج الأول أنّهم:

1- يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق. 2- يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

---

[1] التحرير التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم/ اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن, بإشراف أد/ مصطفي مسلم(563/3), جامعة الشارقة1431هـ، 2010م .

المنارة للاستشارات

3- يخشون ربهم. 4- يخافون سوء الحساب...، وهؤلاء وعدهم ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [الرعد:23].

أمّا النموذج الآخر فمن سماتهم أنهم: 1- ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. 2- يقطعون ما أمر الله به أن يوصل. 3- يفسدون في الأرض. وهؤلاء توعّدهم ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:25].

فالسورة كلها تدور في إثبات قضية التوحيد من الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ واعتقاد اليوم الآخر والتصديق بأنّ القرآن الكريم كلام الله. وموضوع البحث "وصل ما أمر الله به أن يوصل" يدور في نفس الفلك، يبدأ من وصل الإيمان بالله عزّ وجلّ بالإيمان بالنبي محمد ﷺ ثمّ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل والقدر واليوم الآخر، واتباع جماعة المسلمين وعدم الخروج عليهم، وموالاة المؤمنين والبراءة من المشركين والكافرين، وإقامة شرع الله في الأرض بإتمام العبادات، وإصلاح الأخلاق والمعاملات، بصلة الأرحام ووصل القول بالعمل الصادق.

قال الشيخ البقاعي: والمقصود من هذه السورة هذه الآية: ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾ [الرعد:1]، وهي وصف المنزل بأنه الحق وإقامة الدليل عليه[1]. فلقد أُقِيمَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى أَسَاسِ إِثْبَاتِ صِدْقِ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْبَعْثِ وَإِبْطَالِ أَقْوَالِ الْمُكَذِّبِينَ فَلِذَلِكَ تَكَرَّرَتْ حِكَايَةُ أَقْوَالِهِمْ خَمْسَ مَرَّاتٍ مُوَزَّعَةً عَلَى السُّورَةِ بَدْءًا وَنِهَايَةً. وَمُهِّدَ لِذَلِكَ بِالتَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ. وصفه بأنه الحق في نفسه[2].

---

(1) تفسير نظم الدرر، (262/10) .

(2) التحرير والتنوير، (76/13)، في ظلال القرآن، (350/4).

المنارة للاستشارات

المطلب الثالث : تفسير الآية، بلاغيات، ودلالات:

أولاً / التفسير:

في ثنايا السورة الكريمة يعرض ربنا تبارك وتعالى لمثل ضربه للمؤمن والكافر ليتذكر ويتعظ بذلك أولوا الألباب بالعهد الذي بينهم وبين ربهم تبارك وتعالى، وهو أول صفات المؤمن: الوفاء بعهد الله الذي أخذه عليهم، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ... ﴾[الأعراف:172]، وكذا قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى... ﴾[يس:60-61]، ومن تمام وفائهم بالعهد أن لا ينقضوا المواثيق التي أخذت عليهم من ربهم ومن عباده، فالتعريف في الميثاق للجنس. وَابْتُدِئَ مِنَ الصِّفَاتِ بِهَذِهِ الْخَصْلَة لِأَنَّهَا تنبىء عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ أَصْلُ الْخَيْرَاتِ وَطَرِيقُهَا، وَلِذَلِكَ عُطِفَ عَلَى يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ قَوْلُهُ: وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ تَحْذِيرًا مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ نَقْضُهُ[1]. وهؤلاء بصفتهم هذه يصلون ما أمر الله بوصله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ لأنّ اللفظ ظَاهِرٌ فِي صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ[2]، قال الحسن: المراد صلة الرسول ﷺ بالإيمان به[3]. وَمُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ فِي الْجِهَادِ[4]. وصل قرابته ﷺ، وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:10]، بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم.

---

(1) التحرير والتنوير، (126/13) .

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن فرح القرطبي، (ت. 671هـ)، (310/9)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية، 1384هـ- 1964 م .

(3) تفسير روح المعاني، (134/7).

(4) تفسير الرازي، (34/19) .

المنارة للاستشارات

ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة. وعن الفضيل بن عياض أنّ جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان. قال: اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أنّ العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين[1].

وَحَاصِلُ الْكَلَامِ: أَنَّ قَوْلَهُ: "الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ": إِشَارَةٌ إِلَى التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَقَوْلَهُ: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ": إِشَارَةٌ إِلَى الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ[2]. فأمر الصلة عظيم جداً يشمل صلة العبد بربه، ونبيه، ودينه، وأمته، وجميع الخلق، فمن قصر في شيء من ذلك فليس بواصل حتى يتم الصلة بجميع أحوالها. وما يحمل العباد على ذلك إلا أنهم يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةً تَحْمِلُهُمْ عَلَى فِعْلِ مَا وَجَبَ، وَاجْتِنَابِ مَا لَا يَحِلُّ. وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسابِ وَهُوَ الِاسْتِقْصَاءُ فِيهِ وَالْمُنَاقَشَةُ لِلْعَبْدِ، فَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ، وَمِنْ حَقِّ هَذِهِ الْخِيفَةِ أَنْ يُحَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبُوا[3].

ولما كان الوفاء بالعهد في غاية الشدة على النفس، قال: "والذين صبروا": أي على طاعات الله وعن معاصيه: "ابتغاء وجه ربهم": أي المحسن إليهم- وكأنه ذكر الوجه إثارة للحياء وحثاً عليه-، "وأقاموا الصلاة": صلة بربهم، "وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية": لأن الإنفاق من أعظم سبب يوصل إلى المقاصد، "وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ": أي ويدفعون الشر بالخير، ويجازون الإساءة بالإحسان فهو كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:63]، أو أَنَّهُمْ إِذَا أتوا بمعصية درؤوها وَدَفَعُوهَا بِالتَّوْبَةِ.

---

[1] الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله 538هـ، (252/2)، دار الكتاب العربي بيروت، ط.3، 1407هـ.

[2] تفسير الرازي، (34/19) .

[3] فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، 1250هـ (94/3)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، ط.1، 1414هـ.

المنارة للاستشارات

فمن التزم بهذه الشروط التسعة كانت لهم النتيجة الطيبة وهي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:22-24]: الدَّارُ الْآخِرَةِ وَعُقْبَاهَا الْجَنَّةُ لِلْمُطِيعِينَ، وجنات عَدْنٍ: وَسَطُ الْجَنَّةِ وَقَصَبَتُهَا، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، قال ﷺ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجنة"[1]. ويُجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ فِيهَا مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَهْلِينَ وَالْأَبْنَاءِ، مِمَّنْ هُوَ صَالِحٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ تُرْفَعُ دَرَجَةُ الْأَدْنَى إِلَى دَرَجَةِ الْأَعْلَى، مِنْ غَيْرِ تَنْقِيصٍ لِذَلِكَ الْأَعْلَى عَنْ دَرَجَتِهِ، بَلِ امْتِنَانًا مِنَ اللَّهِ وَإِحْسَانًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[الطُّوْر: 21]، وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِلتَّهْنِئَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَعِنْدَ دُخُولِهِمْ إِيَّاهَا تَفِدُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مُسَلِّمِينَ مُهَنِّئِينَ لَهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِنْعَامِ، وَالْإِقَامَةِ فِي دَارِ السَّلَامِ، فِي جِوَارِ الصِّدِّيقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْكِرَامِ[2].

ثانياً/ البلاغيات:

لقد بدأ الحق سبحانه الحديث في الآيات بوصف من لم يؤمن بكتابه بالعمي، (وما يتذكر إلا أولوا الألباب)، وهذا فعلاً العمى الحقيقي، لأن من لم يرى الشمس في وضح النهار فالعيب في عينه وقلبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ... ﴾[فصلت:44].

---

[1] أخرجه البخارى، (1028/3، رقم 2637)، وأخرجه أحمد (339/2، رقم 8455)، وابن حبان (471/10، رقم 4611) .

[2] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير 774هـ)(451/4)، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2، 1420هـ. نظم الدرر(94/3).

المنارة للاستشارات

1- أُطْنِبَ فِي التَّعْبِيرِ بِطَرِيقَةِ اسْمِ الْمَوْصُولِ "مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ": لِمَا فِي الصِّلَةِ مِنَ التَّعْرِيضِ بِأَنَّ وَاصِلَهَا آتٍ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ لِيَنْتَقِلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى التَّعْرِيضِ بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَطَعُوا أَوَاصِرَ الْقَرَابَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسَاءُوا إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ، وَكَتَبُوا صَحِيفَةَ الْقَطِيعَةِ مَعَ بَنِي هَاشِمٍ. - فكأن الأصل في غير القرآن أن يقال: (بما أمر الله بوصله)، ولكنه عدل إلى اسم الموصول ليدل على أنّ الآمر هو الله تعالى، فهو حقيق بأن يمتثل أمره سبحانه، ومن خالف يكون أتى باباً عظيماً من الإثم.

وَفِيهَا الثَّنَاءُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَصِلُونَ الْأَرْحَامَ وَلَمْ يُقَطِّعُوا أَرْحَامَ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا عِنْد مَا حاربوهم وناوؤهم. فالمدح بالإمتثال لأمر الله، فهم الذين قدروا الله حق قدره.

2- جَاءَتِ الصِّلَاتُ: "الَّذِينَ يُوفُونَ"، "والَّذِينَ يَصِلُونَ"، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِمَا بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ فِي تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كِنَايَةً عَنِ الِاسْتِمْرَارِ[1]. فالوصل لا يكون في وقت دون وقت، وإنما يكون في كل وقت بما يناسب ذلك الوقت. وقال: "به أن يوصل" دون "يوصله": ليكون مأموراً بوصله مرتين، ويفيد تجديد الوصل[2]. فالفعل المضارع يفيد التجدد والإستمرار، فهم واصلون وقت الرخاء والشدة.

3- جَاءَتْ صِلَةُ: "وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ"، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا، وَهُوَ: "وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا": بِصِيغَةِ الْمُضِيِّ لِإِفَادَةِ تَحَقُّقِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ لَهُمْ وَتَمَكُّنِهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ تَنْوِيهًا بِهَا، كأنها سجية وطبيعة فيهم، ولِأَنَّهَا أُصُولٌ لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، فهي المعينة الحقيقية على الصلة، وهذا أصدق دليل على أن الصلة لا تتحقق في جميع الأحوال- من الشدة، والإيذاء،... - إلا بدافع الإيمان بالله- سبحانه وتعالى-، وطمعاً فيما عنده، وخشية من غضبه وعقابه .

[1] أنظر تفسير التحرير والتنوير(124/13).

[2] أنظر تفسير نظم الدرر(329/10).

المنارة للاستشارات

4- أُعِيدَ أُسْلُوبُ التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَى الصِّلَةِ وَهُوَ قَوْله: "وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ": لِاقْتِضَاءِ الْمَقَامِ إِفَادَةَ التَّجَدُّدِ، إِيمَاءً إِلَى أَنَّ تَجَدُّدَ هَذَا الدرء مَا يُحْرَصُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ النَّاسَ عُرْضَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ عَلَى تَفَاوُتٍ، ولأنهم معرضون أيضاً للإيذاء من الإخرين، فَوُصِفَ لَهُمْ دَوَاءُ ذَلِك بِأَن يتبعوا السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ[1].

5- الخشية والخوف فرّق الراغب بينهما فقال: الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم.

ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، وقال بعضهم: الخشية أشد الخوف، لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي يابسة، ولذا خصت بالرب في هذه الآية. وفرق بينهما أيضا بأن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويا، والخوف من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرا يسيرا. قال الإمام ان المراد من يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ أنهم يخافونه خوف مهابة وجلالة زاعما أنه لولا ذلك يلزم التكرار وفيه ما فيه[2]. وقد جمع سبحانه بين وصل ما أمر الله به أن يوصل، وخشيته- سبحانه-، وخوف سوء الحساب في آية واحدة مما يدل بقوة على صعوبة الصلة، وقلة الواصلين. واشترط سبحانه في الصبر ابتغاء وجه الله، لأنه لا يُكمِّل الصبر- فيؤدي الصلاة كاملة، وينفق ماله بالليل والنهار- سرّاً وعلانية، ويدفع السيئة بالحسنة ويتبعها بالعمل الصالح-، إلا هؤلاء، ولذا تسلّم عليهم الملائكة عند دخولهم جنة عرضها السماوات والأرض. نسأل الله الرزق.

6- قَوْلَهُ: "ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ"، فِيهِ دَقِيقَةٌ: وَهِيَ أَنَّ الْعَاشِقَ إِذَا ضَرَبَهُ مَعْشُوقُهُ، فَرُبَّمَا نَظَرَ الْعَاشِقُ لِذَلِكَ الضَّارِبِ وَفَرِحَ بِهِ، فَقَوْلُهُ: ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ مَحْمُولٌ عَلَى هَذَا الْمَجَازِ، يَعْنِي كَمَا أَنَّ الْعَاشِقَ يَرْضَى بِذَلِكَ الضَّرْبِ لِالْتِذَاذِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ مَعْشُوقِهِ، فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ يَصْبِرُ عَلَى

[1] أنظر تفسير التحرير والتنوير، (128/13).

[2] أنظر تفسير روح المعاني للألوسى، (134/7).

المنارة للاستشارات

الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ، وَيَرْضَى بِهِ لِاسْتِغْرَاقِهِ فِي مَعْرِفَةِ نُورِ الْحَقِّ وَهَذِهِ دَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ[1]. كأن المسلم لا يشعر بتعب ومشقة من الطاعة بل يشعر باللذة والحلاوة.

7- أُعِيدَ اسْمُ الْمَوْصُولِ هَذَا وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ، للدلالة على أَنَّهَا صِلَاتِهَا خِصَالٌ عَظِيمَةٌ تَقْتَضِي الِاهْتِمَامَ بِذِكْرِ مَنِ اتَّصَفَ بِهَا، وَلِدَفْعِ تَوَهُّمِ أَنَّ عُقْبَى الدَّارِ لَا تَتَحَقَّقُ لَهُمْ إِلَّا إِذَا جَمَعُوا كُلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

8- اجْتِلَابُ اسْمِ الْإِشَارَةِ: "أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ"، لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ جَدِيرُونَ بِمَا بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ أَجْلِ الْأَوْصَافِ الَّتِي قَبْلَ اسْمِ الْإِشَارَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾[البقرة:5].

9- وَقُدِّمَ الْمَجْرُورُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْرِ، أَيْ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ لَا لِلْمُتَّصِفِينَ بِأَضْدَادِ صِفَاتِهِمْ، فَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ. وَإِضَافَتُهَا إِلَى الدَّارِ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ. وَالْمَعْنَى: لَهُمُ الدَّارُ الْعَاقِبَةُ، أَيِ الْحَسَنَةُ. وَالْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ مَقَامِ الْخِطَابِ عَلَيْهِ. وَالتَّقْدِيرُ: فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ دَارُ عُقْبَاكُمْ. وللدلالة على أن النجاح والفوز لهؤلاء فقط دون غيرهم من الناس، فلن يتحقق لأحد فوز أو نجاح إلا من خلال الإتصاف بتلك الصفات.

10- ذِكْرُ مِنْ كُلِّ: "بابٍ"، كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ غِشْيَانِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ بِحَيْثُ لَا يَخْلُو بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ لَا تَدْخُلُ مِنْهُ مَلَائِكَةٌ. ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الدُّخُولَ لَمَّا كَانَ مَجْلَبَةَ مَسَرَّةٍ كَانَ كَثِيرًا فِي الْأَمْكِنَةِ. وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأَزْمِنَةِ فَهُوَ مُتَكَرِّرٌ لِأَنَّهُمْ مَا دَخَلُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ إِلَّا لِأَنَّ كُلَّ بَابٍ مَشْغُولٌ بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ مَنْ كُلِّ بَابٍ فِي كُلِّ آنٍ[2]. المعتاد في الدنيا الدخول من باب واحد، ولكن هؤلاء في درجات عظيمة من التكريم لا تقوم لها الدنيا.

---

(1) أنظر تفسير مفاتيح الغيب، (35/19).

(2) أنظر تفسير التحرير والتنوير، (124/13-132).

المنارة للاستشارات

ثالثاً/ الدلالات من آية الصلة وما يرتبط بها:

ولكي يحقق الإنسان الصلة بينه وبين الله ورسوله، وبين أرحامه وجميع عباده، أنّ يحقق ما يلي: وهو ما يفهم من هذه الآيات.

1- وجوب الوفاء بالعهد: وهو يشمل كل حقوق الله وفرائضه، وحقوق العباد.

2- تحريم نقض المواثيق الإلهية والبشرية: فإذا عقد الإنسان عهدا في طاعة الله، أو مع الناس، لم يجز نقضه.

3- وجوب صلة ما أمر الله به أن يوصل، بجميع حقوق الله تعالى، وحق النبي ﷺ وحقوق العباد، وذلك يتناول كمال الإيمان وجميع الطاعات .

4- الخوف من سوء الحساب: وهو الاستقصاء فيه والمناقشة، ومن نوقش الحساب عذّب.

5- الصبر بإخلاص لله تعالى على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الرزايا والمصائب، والحوادث والنوائب.

6- إقامة الصلاة: وهو أداؤها بفروضها وخشوعها في مواقيتها.

7- الإنفاق من بعض المال سرا وجهرا، بأداء الزكاة المفروضة والتطوع بالصدقات المندوبة في سبيل الله.

8- درء السيئة بالحسنة، أي الدفع بالعمل الصالح السيء من الأعمال، كالتخلق بالأخلاق الطيبة في مواجهة أذى الناس، كالحلم في وجه الجهل، والصبر في وجه الأذى، ودفع الشر بالخير، والمنكر بالمعروف.

9-اتباع السيئة بالحسنة والعمل الصالح لمحو أثرها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:114]

10- أعد الله تعالى للسعداء الطائعين عاقبة الآخرة: وهي الجنة بدل النار، وجنان عدن: وسط الجنة، وأعلى الجنة، وسقفها عرش الرحمن.

المنارة للاستشارات

11- يدخل الجنة مع المؤمن الصالح آباؤه وأزواجه وأبناؤه إن صدقوا وصلحت أعمالهم، وإن لم يعملوا مثل أعمالهم، وهذا تكريم من الله لأوليائه، لأن سرور المؤمن باجتماعه مع قراباته في الجنة، وحضور أهله معه.

12- التقييد بالصلاح بقوله: "وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ..."، دليل على أن مجرد الأنساب لا تنفع، فلا تفيد الأنساب شيئا إذا لم تقرن بالعمل الصالح.

13- زيادة في التكريم تدخل أفواج الملائكة من مختلف أبواب الجنة مهنئة المؤمنين، ومبشرة لهم بالسلامة، قائلين لهم: "سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ":

أي قد سلمتم من الآفات والمحن، أو هو خبر بمعنى الدعاء، أي ندعو لكم بدوام السلامة، سلمكم الله، وهذا يتضمن الاعتراف بالعبودية.

14- استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر فقال: إنه سبحانه ختم مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل التحية والإكرام والتعظيم، فكانوا به أجل مرتبة من البشر، ولو كانوا أقل مرتبة من البشر، لما كان دخولهم عليهم لأجل السلام والتحية موجبا علو درجاتهم وشرف مراتبهم.

المبحث الثاني: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فِي آصرة الدين:

إنّ قضية الصلة في أساسها قضية إيمانية نابعة من الإيمان بالله تعالى، فليست قضية عادة، ولا قضية أخلاق خالصة، ولا قضية ثواب وعقاب، لأن كل هذا ينتهي عند أول شدة أو صعوبة تقابل الواصل، وكذا عند أول اساءة تلحق به، ولكن الذي يضمن استمرار الصلة، وتحمل صعابها، والصبر عليها: هو الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فجمع لهم الخوف والخشية والإخلاص لله، ليؤكد أن الإيمان هو الأساس.

المنارة للاستشارات

المطلب الأول: صلة النبي ﷺ في أصحابه وآل بيته:

إن شرط الإيمان بالنبي ﷺ وجوب محبته، ومن لوازم محبته ﷺ إكرام آل بيته وأصحابه.

أمّا آل بيته ﷺ وهم الذين حُرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل جعفر، وأل عقيل، وآل عباس، وبنوا الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبيّ ﷺ وبناته. فإنّ الله تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:33]، وقد قال ﷺ والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي"[1]، وفى صحيح مسلم عن يزيد بن حبان قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "... وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"[2]، وعن زيد بن أرقم أن النبيّ ﷺ قال: "من كنت مولاه فعلى مولاه"، وفى لفظ: "اللهم والى من والاه وعاد من عاداه"[3]. وأزاج النبي ﷺ من آل بيته، "وإنما دخل الأزواج في الآل وخصوصاً أزواج النبيّ ﷺ تشبيهاً لذلك بالنسب، لأن اتصالهن بالنبيّ ﷺ غير مرتفع، وهن محرّماتٌ على غيره في حياته وبعد مماته، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبيّ ﷺ قائم مقام النسب"[4].

وتجب صلة النبي ﷺ في آل بيته، ولذا فإنّ أهل السنة يحبونهم جميعاً ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، ويتقربون إلى الله بذلك، لأنها من محبة النبيّ ﷺ واكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا مستقيمين على الملة، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت، ومثل هؤلاء لهم حفظ وصية النبي ﷺ فيهم بالإكرام وحسن المعاملة، فالحب يكون للمؤمن منهم، ومن أحسن منهم مع النبي ﷺ، ولم

---

(1) أخرجه أحمد، (298/3 رقم 1776) قال الشيخ شعيب (رحمه الله) إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد .

(2) أخرجه مسلم، (1873/4 رقم 2408)، وأحمد (366/4، رقم 19285)، وابن حبان، (330/1 ، رقم 123)، والحاكم، (160/3، رقم 4711).

(3) أخرجه بن ماجة، (45/1 رقم 121)، والترمذي، (74/6 رقم 3713) وقال الترمذي بغير اللفظ الأخير – حسن غريب، وقال الألباني فى الحكم على سنن ابن ماجة – صحيح.

(4) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، 751هـ، ص.217، تحقيق، شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط.2، 1407– 1987.

المنارة للاستشارات

يؤمن نحب احسانه ولا نحب شخصه، كما هو حال أبو طالب مع النبي ﷺ، فإنا نكرهه لكفره، وكذا أبو لهب يجب علينا أن نكرهه لكفره ولإيذائه للنبي ﷺ [1].

وأمّا أصحابه ﷺ فقد قال ربنا تبارك وتعالى في حقهم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:100]، قال ابن تيمية: "فرضي عن السابقين الأولين رضاء مطلقًا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان"[2]. وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح:18]، وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"[3]. ونختم بكلام ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسنا، وما رأى المسلمون سيئا فهو عند الله سيئاً"[4].

---

[1] العقيدة الواسطية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية 728هـ)، ص. 118.، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود .أضواء السلف، الرياض، ط.2، 1420هـ/1999م. حقوق آل البيت، ابن تيمية، (1/ 26-27)، تحقيق: عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[2] التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أبو العباس أحمد ابن تيمية، ص. 236، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط.6، 1421هـ/ 2000م.

[3] أخرجه مسلم رقم: (2540)، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة .

[4] أخرجه أحمد، (84/6 برقم 3600)، قال الشيخ شعيب: إسناده حسن .

المنارة للاستشارات

وصلة أصحاب النبي ﷺ بأنّ أهل السنة يحفظون فيهم وصية المصطفى ﷺ بوجوب محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم وإنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله فيها، ولذلك سلمت قلوبهم من الغل عليهم، وألسنتهم رطبةً بذكرهم الجميل من الترحم عليهم والاستغفار لهم، ونشر محاسنهم، والشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منه، وأنهم كلهم عُدُول، صغارهم وكبارهم، ذكورهم وإناثهم من لابس الفتن ومن لم يلابسها، حيث ثبتت عدالتهم بنص الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وأّن من سبهم أو تعرض لهم بعيبٍ، أو طعن في عدالتهم فإنه يكفر بهذا؛ لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بأكملها[1].

المطلب الثاني: وصل القول بالعمل:

بداية أقول: لماذا هذا المطلب تحت مبحث الدين وليس الأخلاق؟ والجواب: أن من عقيدة المسلم أن يكون عمله موصلاً بقوله، فإنّ من النفاق والخداع والكذب والخيانة، ومن أخطر صفات اليهود أن يكون الإنسان بقوله ومظهره أمام الناس في جانب، وعمله وباطنه بعيداً عن الناس في جانب آخر، ولذا حذرنا ربنا في تحذير شديد الخطورة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: 2-3]، قال القرطبي: "اسْتِفْهَامٌ عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، عَلَى أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَفْعَلُهُ. أَمَّا فِي الْمَاضِي فَيَكُونُ كَذِبًا، وَأَمَّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَيَكُونُ خُلْفًا، وَكِلَاهُمَا مَذْمُومٌ"[2].

---

[1] الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، 505هـ، (131/1) وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2004م. شرح العقيدة الطحاوية، تح.: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني (467/1). الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ص. 165. التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن جبرين، 1430هـ، ص.175، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الأولى، 1416هـ.

[2] تفسير القرطبي، (80/18).

المنارة للاستشارات

وهذه السمة في شخصية المسلم يؤكد القرآن عليها كثيراً، وتتابعها السنة في تكرار يزيدها توكيداً: يقول الله تعالى منددا باليهود: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:44]، ويقول تعالى منددا بالمنافقين: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ ﴾[النساء:81]، ويقول فيهم كذلك: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[البقرة: 204-205]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ"[1].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ومن أخطرها مارواه أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"[2]، ولعله استقاء من هذا النبع النبوي الطاهر الرائق امتنع الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الرواية من رجل سافر إليه مسافات شاسعة ليأخذ عنه حديثاً حينما وجده يضم حجره ويدعو بغلته يوهمها بطعام وحجره فارغ! فتحرج أن يروي عنه، وقد كذب على بغلته! فهذا بناء أخلاقي دقيق نظيف لضمير المسلم وشخصيته التي تليق بمن يقوم أميناً على منهج الله في الأرض، وهو الأمر الذي تقرره هذه السورة وهذه حلقة من حلقات التربية في الجماعة المسلمة التي يعدها الله لتقوم على هذا الأمر[3]. فيجب على المؤمن أن يصل قوله بفعله- إيماناً بربه- ليكون قدوة للناس، ويقبل الله قوله، وإلا تحقق فيه قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾

---

(1) أخرجه أحمد، (357/2، رقم 8670)، والبخاري، (21/1، رقم 33)، ومسلم، (78/1، رقم 59) .

(2) أخرجه أحمد، (132/36رقم 21800)، ومسلم، (2290/4 رقم 2989) .

(3) في ظلال القرآن، (191/17).

المنارة للاستشارات

حتى قال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف: 175- 176]، "فكذلك العالم الفاجر، فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات، فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات، فقد شبه الله من آتاه الله كتابه ولكنه لم يعمل به، بل عمل بخلاف ذلك بالكلب، كما شبهه في آية أخرى بالحمار، فقال سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[الجمعة:5]"[1].

المبحث الثالث: وصل مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ في آصِرَةُ الأخلاق:

وآصرة الخلق المراد بها صلة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: 10]، وهي تتمثل في علاقة الإنسان بأخيه في الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، وجميع الخلق، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا . فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر والأخوة[2]. وبمعنى رِعَايَةُ جَمِيعِ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لِلْعِبَادِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ صِلَةُ الرَّحِمِ وَصِلَةُ الْقَرَابَةِ الثَّابِتَةِ بِسَبَبِ أُخُوَّةِ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: 10]، وَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ الصِّلَةِ إِمْدَادُهُمْ بِإِيصَالِ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعُ الْآفَاتِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَشُهُودُ الْجَنَائِزِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّبَسُّمُ فِي وُجُوهِهِمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ[3].

---

[1] إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (505هـ)، (60/1)، دار المعرفة، بيروت.

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (5م425)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ- 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي .

[3] مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، (34/19)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.3، 1420 هـ.

المنارة للاستشارات

المطلب الأول: وصل الإيمان بالله ورسوله ببرّ الوالدين:

إن ممّا صحّ عن النبي ﷺ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: "رِضَى اللَّهِ فِي رِضَى الْوَالِدَيْنِ. وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ"[1]، وهذا يقطع الطريق، ويقصر المسافة، ويوضح الأمر: بضعف الإيمان أو بضياعه كلية لمن عاق والديه حتى ولو كانا على الشرك، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان: 14-15]، فيجب وصل الإيمان بالله ورسوله ببرّ الوالدين، وهذا واضح في كتاب جدّاً، حيث قرن ربّنا سبحانه بين توحيده وعبودية وبين برّ الوالدين في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[النساء:36]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: 23-24]، وفي تفسير الآية: "والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة، هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله، إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله: "وبالوالدين إحساناً..."، بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء . ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام إلى الذرية إلى الناشئة الجديدة إلى الجيل المقبل، وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء إلى الأبوة إلى الحياة المولية إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات[2].

---

[1] صحيح، أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" رقم:(2)، والترمذي رقم:(1899)، والبغوي في "شرح السنة" (رقم: 3423، 3424).

[2] في ظلال القرآن، (14/5) .

المنارة للاستشارات

ولقد وصف الله تعالى نفسه بالبَرّ في قوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:28]، وأمر سبحانه عباده بالبرِّ فقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:36]، حيث جعل الإحسان للوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها: أنهما سبب وجود الولد، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين، وإن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إنهما لا يطلبان بذلك ثوابا، وإنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وكذلك الوالدان. ووصف الله تعالى يحيى بن زكريا قبل ولادته بقوله: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾[مريم:14]، وذكر عيسى عليه السلام الصفات الكبرى التي أنعم الله عليه فذكر منها بره بوالدته: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا ﴾[مريم:32][1]. ولذا يجب على الأبناء أن يصلوا آباءهم بكل قوة حتى يرضى الله عنهم وإلا وقعوا في غضب الله وسخطه.

والبِر هو: اسم جامع للخير وأصله الطاعة، اصطلاحاً: هو الإحسان إليهما بالقلب، والقول، والفعل تقرباً لله تعالى. وضدّ البرّ العقوق وهو: عصيانهما وترك الإحسان عليها والخروج عليهما، واصطلاحاً: هو كل فعل يتأذَّى به الوالدان تأذياً ليس بالهيِّن، مع كونه ليس من الأفعال الواجبة[2].

فالبرُّ كلمة جامعة لمعاني الخير والبذل والعطاء، وفيه إيصال الخير بقدر ما تستطيع، وكف الشر. إيصال الخير بالمال، وإيصال الخير بالخدمة، وإيصال الخير بإدخال السرور عليهما، من طلاقة الوجه وحسن المقال والفعال وبكل ما فيه راحتهما. والبر فرض عين بالإجماع على كل واحد من الناس، ولهذا قدمه النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله، كما في حديث ابن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة في وقتها" وقلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال الجهـــــــــاد في سبيل

---

[1] موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، ياسر عبد الرحمن، (26/2)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط.1، 1428هـ - 2007 م.

[2] ينظر في القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، ص. 258، دار الفكر دمشق، ط.2، 1408هـ . معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، ص. 48، دار النفائس ، ط.2، 1408هـ - 1988 م.

المنارة للاستشارات

الله"[1]، ولهذا كان القول الراجح وجوب خدمة الأب والأم على الأولاد إذا لم يحصل عليه بضرر، فإن كان عليه ضرر، لم يجب عليه خدمتهما، اللهم إلا عند الضرورة، ولهذا نقول: إن طاعتهما واجبة فيما فيه نفع لهما، ولا ضرر على الولد فيه, أما ما فيه ضرر عليه، سواء كان ضرراً دينياً، كأن يأمراه بترك واجب، أو فعل محرم، فإنه لا طاعة لهما في ذلك، أو كان ضرراً بدنياً، فلا يجب عليه طاعتهما. أما المال فيجب عليه أن يبرهما ببذله إذا لم يكن عليه ضرر، ولم تتعلق به حاجة، والأب خاصة له أن يأخذ من مال ولده ما شاء ما لم يضر[2].

ونحن في هذه الإطلالة لسنا بصدد جمع موضوع عن البرّ والعقوق، وإنما جمع نؤكد من خلاله أنّ الأنسان لا يستقيم له إيمانه بالله ورسوله ﷺ حتى يصله ببره بالوالدين، فلقد قرن سبحانه بين البرّ والعبودية في أكثر من موضع في كتابه، وأكد هذه حبيبه ﷺ في سنته، فليس هناك حق أو فرض أو واجب على العبد بعد الإيمان بالله ورسوله أوجب من برّ الوالدين، وليس لأحد من الخلق فضل عليك بعد رسول الله ﷺ من الوالدين، وكذا ليس هناك ذنبٌ بعد الشرك أخطر وأعظم من العقوق، فلقد قال ﷺ عن أبي بكرة رضي الله عنه:"أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، قَالَ: وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ"[3]، وما أدري كيف يهنئ العاق بحياة بعدما أساء إلى من قدما إليه كل حياتهما بلا ثمن، وبعدما يعلم العقوبة التي تقع عليه من الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:14]، وقوله سبحانه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[مريم:32]، حيث قرن سبحانه بين العقوق والشقاء والتجبر، فليهنئ العاق بالشقاء في دنياه وآخرته -نسأل الله العافية-، وقد قال صلوات ربي وسلامه عليه عن أنس: "بابان معجَّلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق"[4].

---

[1] أخرجه أحمد، (421/1، رقم 3998)، والبخاري، (197/1، رقم 504)، ومسلم، (89/1، رقم 85) .

[2] مكارم الأخلاق، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت. 1421هـ)، ص. 38، دار الوطن، ط.1.

[3] أخرجه البخاري، (172/3رقم2654)، ومسلم، (91/1رقم 88)، وأحمد، (23/34 رقم 20386) .

[4] أخرجه الحاكم، (196/4، رقم 7350) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد، (308/1، رقم 894).

المنارة للاستشارات

نسأل الله العلي القدير: أن يرزقنا أفضل البرِّ وحسن الإكرام، وأن لا يحرمنا عطفهما ورضاهما ودعاءهما، وأن يرزقهما العافية وطول العمر وحسن العمل، وحسن الخلق، وحسن الختام، وأن يكرمهما برفيع الدرجات والمنازل في الدنيا والآخرة. اللهم آميييين.

المطلب الثاني: بصلة الأرحام:

إنّ الرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة، هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط الله تعالى برّ الوالدين بعبادته سبحانه، ثمّ يربطهما برباط الرحم، إعلاناً لقيمة البرّ والصلة عند الله، وحتى يجمع شمل الأسرة، فقال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:36]، "هذه الفقرة تبدأ بالأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن إشراك شيء به... تبدأ بحرف عطف يربط بين هذا الأمر، وهذا النهي، والأوامر السابقة الخاصة بتنظيم الأسرة فيدل هذا الربط بين الموضوعين على الوحدة الكلية الشاملة المتكاملة في هذا الدين، فليس هو مجرد عقيدة تستكن في الضمير؛ ولا مجرد شعائر وعبادات تقام؛ ولا مجرد تنظيم دنيوي منقطع الصلة بالعقيدة، وبالشعائر التعبدية، إنما هو منهج يشمل هذا النشاط كله، ويربط بين جوانبه، ويشدها جميعاً إلى الأصل الأصيل، وهو توحيد الله والتلقي منه وحده دون سواه توحيده إلهاً معبوداً، وتوحيده سبحانه مصدراً للتوجيه والتشريع لكل النشاط الإنساني أيضاً . لا ينفك هذا التوحيد عن ذاك على الإطلاق"[1]. وهذا المعنى أكده ربنا تبارك وتعالى في آية أخرى، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء:1]: فقد "افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك، وبيَّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه أن: "رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ"

[1] في ظلال القرآن، (127/2) .

المنارة للاستشارات

ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم: "مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا"، ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم،... وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به. وفي قوله: "وخلق مِنْهَا زَوْجَهَا": تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب علاقة[1]. حيث ربط سبحانه بين تقواه لأنه ربهم وخالقهم، وتقوى الأرحام والحذر من قطيعتها والأمر بصلتها وذلك لفضلها وعظمها وخطر أمرها. فقطيعة الرحم ذنب لا يبوء بإثمه مسلم استنار قلبه بهدي الإسلام، وتفتحت نفسه على طاعة الله ورضوانه، فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة في الدنيا والآخرة لقاطع، بل أوجب لنفسه اللعنة الدائمة، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: 22-23]، قال القرطبي: "اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى" إِنْ تَوَلَّيْتُمْ" فَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْوِلَايَةِ. أَيْ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَمْرَ الْأُمَّةِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالظُّلْمِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِي وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ. "أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ" أَيْ طَرَدَهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ." فَأَصَمَّهُمْ": عَنِ الْحَقِّ" وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ" أَيْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ. "أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" أَيْ يَتَفَهَّمُونَهُ فَيَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ لَمْ يَتَوَلَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ" أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها" أَيْ بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ أَقْفَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"[2]. إلى هذا الحد من الخطورة التي أكدها النبي ﷺ في قوله:

---

[1] تفسير السعدي ص.. 163 .

[2] تفسير القرطبي:(246/16) .

المنارة للاستشارات

"الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ"[1]. وقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ: الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد:22]"[2]. (ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ): قَالَ الطِّيبِيُّ: أَتَى بِصِيغَةِ الْعُمُومِ؛ لِيَشْمَلَ جَمِيعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ فَيَرْحَمَ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ وَالنَّاطِقَ وَالْبُهْمَ وَالْوُحُوشَ وَالطَّيْرَ. والمعنى: ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ شَفَقَةً يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ تَفَضُّلًا[3]. وفي الفتح نقل ابن حجر: "قال بن أبي جمرة: "الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، والقطع كناية عن حرمان الإحسان"، وقال القرطبي: "فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته". والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها فالقاطع لها منقطع من رحمة الله"[4].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: "الرَّحِمُ الَّتِي تُوصَلُ وَتُقْطَعُ وَتُبَرُّ إِنَّمَا هِيَ مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي لَيْسَتْ بِجِسْمٍ، وَإِنَّمَا هِيَ قَرَابَةٌ وَنَسَبٌ تَجْمَعُهُ رَحِمُ وَالِدَةٍ، وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الِاتِّصَالُ رَحِمًا، وَالْمُرَادُ تَعْظِيمُ شَأْنِهَا، وَفَضِيلَةُ وَاصِلِيهَا، وَعَظِيمُ إِثْمِ قَاطِعِيهَا بِعُقُوقِهِمْ, لِهَذَا سُمِّيَ الْعُقُوقُ قَطْعًا، وَالْعَقُّ الشَّقُّ كَأَنَّهُ قَطَعَ ذَلِكَ السَّبَبَ الْمُتَّصِلَ"[5]. ولذا يجب على المؤمن أن يصل رحمه ويبلها، "فالمسلم المرهف الحس، المتطلع إلى رضوان ربه وسلامة آخرته، لتهزه هذه النصوص من الأعماق؛ إذ تقرر أن قطيعه الرحم تحجب الرحمة، وترد الدعاء، وتحبط

---

[1] أخرجه أحمد، (11: 33رقم6494). الترمذي، (3: 388رقم1924) وقال حسن صحيح.

[2] أخرجه البخاري، (134/6رقم4830). مسلم، (1980/4رقم2554). أحمد، (14: 103رقم8367).

[3] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، (1014هـ)، (3113/8)، دار الفكر، بيروت، ط.1، 1422هـ.

[4] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، (419/10)، دار المعرفة، بيروت، 1379.

[5] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، (676هـ)، (16: 112)، دار إحياء التراث العربي، ط.2، 1392.

المنارة للاستشارات

العمل، وإنه لبلاء كبير يحيق بالمرء أن يدعو فلا يستجاب له، ويعمل فلا يرفع له عمل، ويفيء إلى رحمة ربه فتبتعد عنه، ومن هنا لا يتصور أبدا أن يكون المسلم الحق قاطع رحم في يوم من الأيام، لأن قطيعة الرحم من الذنوب التي يعجل الله بها العقوبة، بل إنها في طليعة الذنوب التي يأخذ أصحابها بها في الدنيا قبل الآخرة، قال ﷺ: مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"[1]. فقطيعة الرحم والبغي صنوان، ولذا قرنهما رسول الله ﷺ في حديثه؛ ذلك أن قطيعة الرحم من الظلم، وأي ظلم أشد من تقطيع الوشائج، وفصم عرى المحبة، وتجفيف ينابيع الوداد؟!. ومن هنا كان المسلم التقي الواعي واصلا رحمه، لا تلهيه الدنيا، ولا المال ولا الزوجة والولد، عن تفقد ذوي رحمه وقرابته، وبرهم وإكرامهم ومعونتهم"[2].

قال النّوويّ: وصلة الرّحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزّيارة والسّلام وغير ذلك[3]. وقيل هي: الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا . وقطع الرحم ضد ذلك كله . يقال: وصل رحمه يصلها وصلا وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر[4].

---

(1) أخرجه أحمد، (36/5، رقم 20390)، وأبو داود (276/4، رقم 4902)، والترمذي (664/4، رقم 2511) وقال: حسن صحيح.

(2) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د.محمد علي الهاشمي، ص. 109، دار البشائر الإسلامية، ط.10، 1423هـ .

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، (201/2) .

(4) لسان العرب، ابن منظور، (4851/4) .

المنارة للاستشارات

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذا ما منّ الله به عليّ في هذا الباب، فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأٍ فمني ومن الشيطان، وأسأل الله العافية.

ومن نتائج هذا البحث ما يلي:

1- سورة الرعد من السور المكية التي تعالج مسائل العقيدة، ومنها مسألة: صلة ما أمر الله به أن يوصل.

2- وجوب صلة ما أمر الله به أن يوصل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وأن معنى الصلة: ضد الهجر، ويطلق على القرب، وإنّ معناها واسع يشمل صلة العبد بخالقه، ونبيه- صلى الله عليه وسلم-، وجميع العباد والمخلوقات.

3- إن الصلة ناتج من نواتج الإيمان بالله تعالى، ولن تقبل الصلة، بل ولن تستمر، وتؤتي أكلها إلا إذا كانت ناتجة عن الإيمان الله ورسوله ﷺ .

3- من صبر على الصلة وحافظ عليها كرمه الله في الدنيا: (بأن يبسط الله له في رزقه، ويطيل له في عمره)، وفي الآخرة بجنات عدن ومن صلح من أهله.

4- وجوب صلة النبي ﷺ في آل بيته وصحابته.

5- من تمام الدين وصل القول بالفعل.

6- الدين حسن الخلق، ولن يكتمل إيمان العبد حتى يراعي حقوق الوالدين، والأرحام، والأقارب.

المنارة للاستشارات

المصادر والمراجـــع:

01- المعتصم بالله البغدادي، ط.3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1416هـ - 1996م.

الجوهري، الصحاح في اللغة، موافق، (120/5)، بدون بيانات النشر.

02- أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط.1، بيروت، دار الفكر، 1422هـ

03- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية 728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.

04- أبو الفداء إسماعيل بن كثير(774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ.

05- أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط.1، دمشق-بيروت، دار القلم - الدار الشامية، 1412 هـ.

06- أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط.3، بيروت، دار الكتاب العربي،1407هـ.

07- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

08- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م.

09- أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط.3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

10- أبو عبد الله محمد بن فرح القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط.2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964 م .

11- أبي العز الحنفي792هـ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية، 1418هـ.

12- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

13- أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية، 1418هـ.

14- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية 728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، 1416هـ.

15- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية 728هـ، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط.7 مجددة، بيروت، المكتب الإسلامي، 1426هـ.

16- أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379.

المنارة للاستشارات

17- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة، 1379.

18- ابن حجر الهيثمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ط.1، طبعة دار الفكر، 1407هـ -1987م.

19- إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

20- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دون بيانات النشر.

21- هشام بن عبد القادر آل عقدة، مختصر معارج القبول، ط.5، مكتبة الكوثر الرياض، 1418هـ.

22- حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق/عمر بن محمود أبو عمر، ط.1، الدمام، دار ابن القيم – الدمام, 1410هـ.

23- ياسر عبد الرحمن، موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط.1، القاهرة، 1428هـ - 2007 م.

24- يحيى بن شرف النووي (676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط.2، دار إحياء التراث العربي، 1392.

25- يحيى بن شرف بن مري النووي، شرح النووي على مسلم- المنهاج شرح صحيح مسلم، ط.2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1392.

26- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي1393هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 52/7، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ- 1995م.

27- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت. 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (127/13)، الدار التونسية للنشر، 1984هـ.

28- محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي 666هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط.5، بيروت، المكتبة العصرية، 1420هـ - 1999م.

29- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط.2، القاهرة، دار السلفية، 1394هـ.

30- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية751هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد محمد رواس قلعجي، معجم لغة الفقهاء، حامد صادق قنيبي، ط.2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ - 1988م.

31- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية 751هـ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

المنارة للاستشارات

32- محمد بن أحمد بن الأزهري (370)هـ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط.1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.

33- محمد بن جرير الطبري 310هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط.1، مؤسسة 1420هـ- 2000م.

34- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دون بيانات النشر.

35- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط.1، بيروت، دار صادر، د.ت.

36- محمد بن سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، تقديم فضيلة الشيخ: عبد الرزاق عفيفي، ط.1، طبعة دار طيبة الرياض، د.ت.

37- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي(543هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط.3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003 م.

38- محمد بن علي الشوكاني 1250هـ، فتح القدير، ط.1، دمشق-بيروت، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، 1414هـ.

39- محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، ط.10، دار البشائر الإسلامية، 1423هـ .

40- محمد بن علي بن القاضي التهانوي (1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم

41- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (1250هـ)، فتح القدير، ط.1، دمشق-بيروت، دار ابن كثير-دار الكلم الطيب، 1414 هـ.

42- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (1421هـ)، مكارم الأخلاق/ ط.1، دار الوطن، د.ت.

43- محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه، الإسكندرية، ط. دار عمر بن الخطاب الإسكندرية، (د.ت.)

44- محمد قطب، "لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة"، طبعة دار الشروق، 2015م.

45- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.

46- سعدي أبو جيب، ينظر في القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط.8، دمشق، دار الفكر، 1408هـ .

47- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسُّنَّة: المفهوم، والفضائل، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض، الرياض، مطبعة سفير، د.ت.

48- سعيد حوى، "الله جل جلاله"، وكتاب:" الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من علماء الغرب"، دون بيانات النشر.

49- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، بإشراف: أ.د. مصطفي مسلم، جامعة الشارقة، 1431هـ- 2010م .

50- نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط.1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1421هـ.

51- نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية، 1421هـ.

المنارة للاستشارات

52- عبد العزيز بن عبد الله بن باز 1420هـ، أصول الإيمان، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الحادية عشرة، ع.3، ربيع الأول، 1399هـ/1979م.

53- عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، 1422هـ .

54- عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ط.1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1422هـ.

55- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974 م.

56-عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب 1285هـ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص.12، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط.7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1377هـ-1957م.

57- عبد الرحمن بن ناصر البراك، جواب في الإيمان ونواقضه، اعتنى به: عبد الرحمن بن صالح السديس، ط.1، دار التدمرية، 1473

58- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط.1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ- 2000م.

59- شهاب الدين محمود الألوسي (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ .

60- مسلم بشرح النووى، طبعة دار إحياء التراث العربى، 1392 هـ.

61-أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الامام البيهقي وموقفه من الالهيات، رسالة دكتوراة من كليه الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة الملك عبد العزي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثانية، 1423هـ/2002م.

المنارة للاستشارات